المبحث الثامن
واقع تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر

لم يؤت الإسلام في تاريخه الحديث من ثغرة أشد خطرا من وضع المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي. فقد منح الإسلام المرأة حقوقا ومكانة تتوافق مع فطرتها، ومن ذلك حقها في التعليم، الذي اعتبره الإسلام فريضة عليها كما هو على الرجل، واعتمد حسن توظيفه وسيلة من أجل إعمار الكون وتحقيق الخلافة.

لكن عصور الركود والتخلف والتقليد؛ قد ألقت بظلالها على فهم المسلمين للخطاب الإسلامي وإدراكهم لأبعاده. ومن ثم فإنه بدلا من إعطاء المرأة حقها في التعليم الذي حث عليه الإسلام؛ فقد آلت المجتمعات الإسلامية إلى حرمان المرأة منه، حيث حددت حاجتها للعلم بالقرآن الكريم وبعض مبادئ الدين. ومن ثم ظلت المرأة المسلمة ولقرون عدة؛ تعيش في ظلام الجهل، شاءت إرادة الله بعدها أن تمتد إليها الأيدي الغربية والقريبة لتنتشلها من غياهبه مدفوعة بدوافع مختلفة.

والأيدي الغريبة تتمثل في الجهود التي قامت بها الدول المستعمرة، أما الأيدي القريبة فتتمثل في الحكومات الإسلامية التي استشعرت أهمية تعليم المرأة؛ فأفسحت لها المجال في المؤسسات التعليمية الخاصة بها أو المختلطة.

ويلاحظ أن الاستعمار لم يكن يشجع تعليم البنات في الدول الإسلامية المستعمرة، بل كان يقاومه مقاومة شديدة، ويعمل باستمرار على تخلف المرأة الذي يبقى على تخلف المجتمع كله.

وقد حدث هذا في السودان وفي غيرها من الدول الإسلامية، فقد جاء في التقرير السنوي لوزير المالية أثناء الحكم البريطاني للسودان؛ أن السبب في عدم تعليم البنات يعود إلى عدم توفر الأماكن الملائمة لإقامة المدارس. (سمارة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٢٣-٢٢٤).

وما شجعه الاستعمار؛ هو المدارس التنصيرية التي وقفت الدولة الإسلامية ضدها - أيام قوتها - في المناطق الواقعة تحت نفوذها، وذلك لما تحمله هذه المدارس من فكر غربي. (سمارة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٩٨).

ونجد الحداد يشير إلى أن هذه المدارس قد مثلت أكبر عقبة في طريق المرأة المسلمة؛ لأنها كانت تهيء الملتحقات بها لمواصلة تعليمهن في المدارس الفرنسية، وكانت تجعلهن يتعلقن بالجديد المستحدث وينبذن القديم دون أن تؤهلهن بما يمكنهن من هضم الجديد ومعرفة أوجه صلاحه وفساده. فهذه المدارس لم تكن إلا صورة من صور التطور الشكلي الذي يوفر مطالب الجسد دون الروح والعقل. (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٩٤-١٩٧).

وقد وجدنا الأهالي في كثير من البيئات يمتنعون عن إرسال بناتهم إلى أمثال هذه المدارس كما في الجزائر والسودان؛ حيث ظل الوضع التعليمي للمرأة فيها دون المستوى المطلوب حتى عام ١٩٧٠م. (بدري، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٥).

وعلى الرغم من اختلاف بدايات التعليم للإناث من بلد لآخر، إلا أن تعليم البنات في جميع الدول الإسلامية قد أخذ ينمو باضطراد منذ الخمسينيات الميلادية. (تقرير العائلة العربية..، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٠)، لكن وبصفة عامة؛ فإن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة في العصر الحديث، يعكس **أمرين اثنين: انعدام الأصالة، واقتصاره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية**، وسنناقش هذين الأمرين فيما يلي.

أولا: انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث:

انطلق تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث من منطلق غير إسلامي بعد مجئ الاستعمار، وقد كان لآراء كثير من الرواد دور في ذلك، حيث نادوا باحتذاء النهج الغربي في تعليم المرأة، فكانت النتائج متمثلة في الواقع المتردي الذي يعيشه المجتمع المسلم اليوم برجاله ونسائه.

ومن أبرز المؤشرات الدالة على فقدان الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر ما يلي:

١- افتقاد المناهج التي تقدم للرؤية الإسلامية، حيث نجدها نسخا غير مطورة للمناهج الغربية بمفاهيمها وقيمها؛ بمعنى أن الطابع الإسلامي لا يصبغ جميع المواد والعلوم التي تقدمها المناهج الدراسية؛ فالمقررات الإسلامية تتخصص في تدريس المواد المتعلقة بعلوم الشريعة والفقه ولا تمتد لتصبغ العلوم الطبيعية والاجتماعية، وهذا ما جعل نفرا من الباحثين يشعرون بأهمية أسلمة التربية ومن بينهم العلواني الذي يقول ما نصه:

" إن المواد والمناهج التي تدرس في جامعات العالم الإسلامي هي نسخ غير مطورة عن المواد والمفاهيم الغربية، وهي تفتقد الرؤية الصحيحة للعالم الإسلامي الذي لا ينفع له كل مستورد، ومن ثم فهي أداة تعليم قاصر أو ضار، يبعد الطلبة عن جذورهم وحضارتهم ويفقدهم هويتهم، ويسهم في تكريس التخلف. والكارثة الكبرى تتمثل في افتقاد غالبية الأساتذة للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له".

ويضيف قائلا:

".... ولا توجد حتى الآن مؤسسة أكاديمية في العالم الإسلامي يدرس فيها الفكر الإسلامي والرؤية الإسلامية بشكل متكامل كما تدرس الأفكار والرؤية الغربية لطلبة الدراسات الثانوية في الغرب؛ أي بترابط وشمولية وجدية والتزام من قبل الجميع[1]. (العلواني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٨٤-٨٥)

٢- اعتبار مادة " الدين " من المواد الهامشية في بعض البيئات الإسلامية [2].

٣ - الاختلاط بين الذكور والإناث في المؤسسات التعليمية في غالبية الدول الإسلامية.

وقد أشار الأستاذ محمد قطب إلى أن هذا الأمر قد تطور من جعل بعض المعلمين من الرجال في البداية حتى وصل إلى أن أصبحت المدارس مختلطة تضم الذكور والإناث معا (محمد قطب، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٧ م، ص٥٠).

إن انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة المعاصرة قد أفقد المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي القدرة على إخراج المرأة المسلمة التي تترجم المبادئ التي تؤمن بها إلى سلوك تطبيقي في واقع الحياة. وهي- المؤسسات- بما تقدمه من تعليم موحد للذكور والإناث مما لا يتلاءم مع مسئولية المرأة ورسالتها ولا يتناسب مع تكوينها النفسي

---

(١) أشار الصواف إلى أنه في ثانوية "الأعظمية" للبنات في العراق، كانت هناك كثير من المخالفات للشريعة الإسلامية من سفور وتبرج، وأن المناهج كانت تخلو من أي أثر أو توجيه إسلامي، مما جعل المتعلمات يجهلن أبسط الأحكام الشرعية. وقد تأكد له ذلك من خلال استجابتهن السريعة لما كان يلقيه عليهن من محاضرات. (الصواف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٢٢-١٢٣).

(٢) لم تكن مادة " الدين" من المواد الرئيسية في مصر في السابق حيث إن الطالب كان يمكنه أن ينتقل إلى صف أعلى مع رسوبه فيها حتى عين د.حلمي مراد وزيرا للتعليم، فأصدر قرارا يقضي بجعلها مادة نجاح ورسوب. " حسين في الشعب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١١٣٦).

والاجتماعي والحيوي، قد أبعدتها عن إدراك الهدف الحقيقي لوجودها، فلم يعد أمامها هدف محدد تسعى إليه، مما أسهم كثيرا في تخلفها، ومن ثم تخلف باقي أفراد المجتمع المسلم باعتبارها المربية الأولى [1].

ويورد (ستودارد) وصفا لحال المرأة المسلمة التي تخرجت من التعليم المتغرب فيقول ما نصه:

" إن انتشار التعليم الغربي في الأقطار الشرقية خلال بضعة العقود الأخيرة ليدعو للاعتبار لأنه قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم، فقد كانت أصول فن التعليم جارية على سنن التقليد في جميع الشرق من مراكش حتى الصين لا تخرج عن حد تحفيظ الكتب الدينية والأسفار المقدسة تحفيظا مقرونا بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره... "

ثم يشير إلى أن تعليم الإناث قد انتشر انتشارا كبيرا ولكن على نحو أضيق من تعليم الذكور، حتى ظهر في الحواضر الأكثر تمدنا مثل القسطنطينية (اسطنبول) والقاهرة ومدن الهند: " طراز جديد من النساء العصريات، المهذبات، الراقيات، ولاسيما من معلمات المدارس اللاتي نزلن منزلة رفيعة في المجتمع الذي أخذن يعملن فيه " [2] (ستودارد، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م، ص ٢٣٤، ص ٢٣٨)

ثانيا: اقتصاره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية:

على الرغم من حرص الإسلام في إعداده للمرأة المسلمة على تهذيبها وتعليمها

---

(١) في دراسة أجريت بلبنان وجد أن ثقافة البنات المنقطعات عن التحصيل هي في مستوى الحس الشعبي المشترك، حيث لم يؤهلهن تعليمهن للتحرر من التقاليد والأساطير، إلى جانب أن استهلاكهن الثقافي محصور بصفة عامة في الاستماع للإذاعة، ثم مشاهدة التلفاز، وبدرجة أقل قراءة الصحف السياسية، مع ارتفاع في قراءة المجلات الغرامية والجنسية وشبه انعدام في مطالعة الكتب حتى ولو كانت روايات بوليسية. (خليل خليل، ١٠٤٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٤-١٣٥).

(٢) من الأمور المؤسفة أن هذا الرقي- البعيد عن الأصالة - قد أفرز أنماطا من النساء تفرعنت فلم تكتف بتجاوز حدها في الغفلة عن الالتزام والتمسك بالفطرة بل راحت تجاهر بالعداء لدينها وتقاليد قومها. وكل ذلك بسبب غياب التعليم الديني عن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة المعاصرة والذي أدى في مصر وغيرها إلى ظهور تنظيم " عبدة الشيطان" من الجنسين (المسلمون، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٦٢٧)، وأدى في تركيا إلى قيام بعض النساء بمظاهرات ضد خطط الحكومة الهادفة إلى تشجيع المجتمع التركي على العودة إلى بعض العادات والتقاليد الإسلامية. (الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٢٤٠٧).

وتوفير الضمانات كافة التى تساعدها على التفرغ لمسئوليتها الأولى في إعداد الإنسان المؤهل لعمارة الكون، إلا أنه مع ذلك لم يمنعها من العمل؛ بل أباحه لها بشرط أن لا يزاحم واجباتها الأساسية.

لكن الملاحظ على التعليم الحديث للمرأة المسلمة المعاصرة أنه يجعل الهدف الأول من تعليمها؛ إعدادها لسوق العمل، متوجها في ذلك بالنظرة الغربية الموجهة لنظم التعليم في الدول الغربية (الرميحي في ندوة المرأة ودورها..، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٣٥)

ونجد أن خروج المرأة الغربية للعمل قد يكون فيه تحرير لها من أعباء المنزل، لكنه قد تسبب لها في كثير من المعاناة النفسية الناجمة عن عدم الإحساس بالاطمئنان والاستقرار الذي يمنحها إياه قيامها بمسئولياتها الأساسية داخل المنزل.

ويلخص بارسونز (Parsons) هذه المعاناة للمرأة الأمريكية بقوله:

" إن المرأة الأمريكية حين وجدت نفسها تعيش في خضم المجتمع الاستهلاكى المتفوق في الميكنة والتقنية، شعرت بالتحرر من أعباء الأشغال المنزلية التي كانت تتحملها جدتها من قبل، وإن كان ذلك أدى إلى شعورها بالفراغ القاتل، ومن ثم الجري وراء الأشياء التافهة، ومن ثم بدأت تعاني القلق والتوتر والأرق وعدم الشعور بالاطمئنان النفسى، ومن ثم أصبحت تتردد على عيادات التحليل النفساني. " تلك التي صادفت بصناعتها رواجا كبيرا... " (تعقيب حكمت أبو زيد على نشابه في ندوة المرأة ودورها.. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٥٦)

وعلى نفس المنوال نجد المرأة المسلمة المعاصرة التي أعدها العلم لسوق العمل في كثير من البيئات الإسلامية، دون مراعاة للضوابط الشرعية التي حددها الإسلام؛ فلأن خروجها لم يكن وليد تطور اجتماعي استوجبته تغيرات المجتمع، بل وليد تقليدها للآخرين؛ لذلك فقد وجدنا سوق العمل لا يوفر لها التنظيمات التي تراعي مسئوليتها الأساسية، ولا الإمكانيات التي تتيح لها الاستفادة من طاقاتها في الارتقاء بوضع المجتمع، ولا القوانين واللوائح التي تيسر لها الجمع بين مسئولياتها المختلفة في ظل الضوابط الشرعية.

وقد تحملت المرأة المسلمة المعاصرة كل ذلك، فكانت النتيجة أن عليها أن تدفع الثمن في الحالتين؛ فإن عملت كانت النتيجة إرهاقا نفسيا ينعكس أثره على أسرتها، وإن لم تعمل كانت النتيجة انعزالا عن واقع الحياة الاجتماعية.

وهناك كثير من الدراسات التي تؤكد على الآثار السلبية الناجمة عن خروج المرأة المسلمة المعاصرة إلى العمل دون ضوابط ومن بين هذه الآثار[1]:

١. **أن الأم العاملة أصبحت أقل البشر فراغا** حيث إن ساعات اليوم لا تكاد تكفي واجبات عملها ومنزلها.

٢. **معاناة المرأة من الازدواجية** بسبب توزعها بين أعمالها داخل المنزل وخارجها وشعورها بعدم القدرة على التوفيق بينهما.

يقول غارودي:

" إن النساء اللواتي يعملن في أكثر من ميدان يعانين من التمزق الشديد حيث يواجهن صعوبات جمة من جراء قيامهن بواجبات الأمومة، وبالعمل خارج المنزل إلى جانب أعمال المنزل في وقت واحد، رغم أن وسائل الدعاية تحاول إقناعهن بأن الأدوات المنزلية الحديثة تحررهن من بعض أعمالهن. وهن يخدعن بخصوص نوعية الخدمات، ومدة الاستعمال، والأسعار. " (غارودي وآخرون، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١١٣- ١١٤).

وتشير نتائج بعض الدراسات إلى أن من بين الأزواج من يتهمون زوجاتهم بالعنف والعصبية الزائدة الناجمة عن التعب والإرهاق النفسي نتيجة الجمع بين المسئوليات، وعدم القدرة على تلبية المطالب المادية والعاطفية للزوج. وإذا ما تمكنت المرأة من تحقيق شيء من التوازن؛ كان ذلك على حساب جهازها العصبي والنفسي، حيث تتعامل مع ما يفوق قدرتها وطاقتها البشرية، فتنعكس انفعالاتها على من حولها ويتعكر صفو الأسرة. (آدم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦٠).

كما تشير الدراسات أيضا إلى ارتفاع حالات القلق والاكتئاب نتيجة لعمل المرأة ؛ مما يضطرها إلى اللجوء إلى العيادات النفسية هي وأبنائها. (تقرير العائلة العربية وآثار التحولات، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٥)

٣. **فتور المشاعر بين الزوجين**: وذلك بسبب شعور المرأة بالندية والمساواة التي تجعلها تشعر بالاستغناء عن زوجها، إلى جانب أن الرجل لم يعد يشعر بالسعادة التي كان

---

(١) انظر في ذلك: آدم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٦٠ ، وعبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ص ٧٣٤، وتقرير العائلة العربية..، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٥، ويوسف أسعد، د.ت، ص٥٠.

منبعها العطاء. فحدث هناك فقدان جزئي للقوامة المادية التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[النساء:٣٤]، إلى جانب أن دخل المرأة قد أصبح يتسبب في كثير من النزاعات بين الزوجين في ظل طغيان النزعة المادية على أفراد المجتمع في الوقت الحاضر.

٤. **شعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي** وبأهميتها في المجتمع قد يكسبها اتجاهات سلبية تؤثر على أدائها لمسؤلياتها الأساسية، حيث قد يؤدي إلى مبالغة في تقدير الذات، يستتبعها قلة اهتمام بالآخرين من حولها ممن كلفها الله بواجبات تجاههم؛ مثل الزوج والأبناء والأقارب.

٥. **عمل المرأة بين الرجال** قد يكسبها بعض خصائصهم، فتبدو مسترجلة في سلوكها، وينعكس أثر ذلك على علاقتها بزوجها.

٦. **حرمان الأطفال من الرعاية النفسية والعاطفية** التي تعتبر الأم المصدر الرئيسي لها.

يقول سيد قطب:

" وأعجب العجب أن انحراف التصورات الجاهلية ينتهي بناس من المعاصرين إلى أن يعتبروا نظام العمل للمرأة تقدما وتحررا وانطلاقا من الرجعية! وهو هو هذا النظام الملعون، الذي يضحي بالصحة النفسية لأغلى ذخيرة على وجه الأرض... الأطفال... رصيد المستقبل البشري... وفي مقابل ماذا؟ في مقابل زيادة في دخل الأسرة، أو في مقابل إعالة الأم، التي بلغ من جحود الجاهلية الغربية والشرقية المعاصرة، وفساد نظمها الاجتماعية والاقتصادية أن تنكل عن إعالة المرأة التي لاتنفق جهدها في العمل، بدل أن تنفقه في رعاية أعز رصيد إنساني وأغلى ذخيرة على وجه الأرض." (سيد قطب ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج١، ص ٢٣٥)

وإلى جانب هذه الآثار؛ نجد المرأة المسلمة المعاصرة قد أصبحت مقلدة لنظيرتها الغربية في كل شيء، ومن ثم كان جريها وراء " الموضة" والاستهلاك، تاركة وراءها تراثا عميقا دون أن تفرق بين طيبه وخبيثه، أو بين ما يناسب حياتها الجديدة وما يعارضها، ومن ثم وجدناها تجري لاهثة وراء التقليعات الجديدة التي يعبر عنها بو علي ياسين بقوله:

".... نوع من الهيستريا أصاب فئة من النساء في تقليد الغرب الاستهلاكي (لا

الإنتاجي)، في تقليد نساء السينما والدعاية والمجلات (لا النساء العاملات العاديات)، تسبب أشد الضرر للمجتمع العربي الذي يضطر في إنتاجه وتجارته الخارجية وفي ثقافته أن يراعي رغبات نسائه."(ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٤٢-١٤٣)

وقد دفعت المرأة المسلمة المعاصرة ضريبة فادحة ثمنا لتطورها الحديث؛ وهي انحرافها عن طريقها الطبيعي ومهمتها الأساسية، تاركة إياها للخادمات أو الجدات، ولم تدرك أن الهدف الأساسي من إخراجها؛ ليس سدا لفراغ يشكو منه المجتمع، بل لتصبح هي أما مثقفة، ومواطنة صالحة، تحسن أداء مهمتها التي وجدت من أجلها، ولا تحصر جهودها في العمالة الرسمية.

وتؤكد حكمت أبو زيد على تحديد مهمة المرأة في عملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية، وأن الأمة تحتاج من أجل النهوض من تخلفها إلى " جيل صحيح الجسم معافى الذهن، متوقد الذكاء، متوازن الانفعالات".

وهي تنطلق من حقيقة التكامل بين النوعين في جميع الأدوار والمواقف، لكنها تقدم المرأة على الرجل في التصدي **لمهمتين اثنتين** وهما: عملية الاستمرار البيولوجي (الحيوي)، وعملية الاستمرار الاجتماعي.

فعملية **الاستمرار البيولوجي** توفر للأمة العدد اللازم من الأفراد للبناء وللذود عن الحرمات، وعملية **الاستمرار الاجتماعي** توفر الأفراد الذين يتميزون بالطموح والثقة بالنفس والقدرة على فعل المستحيل. (أبو زيد في تعقيبها على نشابة في ندوة المرأة ودورها..، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٤٥١).

وبمعنى آخر فإن المرأة تقدم على الرجل، ولها مسئولية كبيره فيما يتعلق ببقاء النوع ورقيه.

ومما يزيد من إغفال المرأة المسلمة لحقيقة دورها؛ أن القائمين على التربية الحديثة يركزون على خدمة القطاع الاقتصادي الحديث، ويجعلون له الأولوية على القطاع التقليدي، كما أن التربية الحديثة تجعل الأولوية للآلة على الإنسان، يضاف إلى ذلك أن التربية الحديثة – في العالم الثالث – قد أصبحت في الوقت الحاضر غير قادرة على مواكبة التطورات السريعة في الاقتصاد الحديث بعد ظهور عدد من المؤشرات السلبية؛ مثل بطالة المثقفين الظاهرة والمقنعة في الوقت الذي تفتقر فيه بعض النشاطات الاقتصادية

والاجتماعية إلى مهارات وتخصصات يقصر النظام التعليمي عن الوفاء بها، وبدا واضحا أن هذا التعليم بشكله الحالي " يقصر عن تخريج الإنسان الذي يقدر على مواكبة التطورات السريعة الحادثة والمرتقبة. " (غنام في التربية الجديدة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٧).

وقد أشار المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، إلى الآثار السلبية للتعليم الحديث - المقلد للغرب - في بعض المجتمعات الإسلامية التي طبقته؛ حيث جاء ضمن توصياته ما يلي:

" وبالنسبة لتعليم البنات فإن المؤتمر يرى أن البلاد التي أقامت نظما مختلطة للتعليم وعلمت المرأة على مناهج موضوعة في الأصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المرأة ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية، قد بدأت نتائج تلك النظم تظهر في مجتمعاتها من فساد الناشئة وجنوحها إلى الإجرام والشذوذ مما يأباه الإسلام وتنفر منه الفطرة السوية؛ لذلك يوصي بأن يكون تعليم البنات مستقلا عن تعليم البنين ".

وانطلق المؤتمر من ذلك ليوصي بأهمية وضع نظام تعليمي خاص مبني على أسس علمية تراعي فطرة المرأة ووظيفتها، حيث جاء فيه ما نصه:

" يوصي المؤتمر بوضع نظام خاص مبني على أسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة في كل مراحل التعليم ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة وما يحتاج إليه المجتمع من خدمات نسوية ويحقق ما يهدف إليه الإسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمرأة والمحافظة على الأسرة والأخلاق الفاضلة ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية، في الوقت ذاته الذي يسعى فيه إلى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق لأن طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالا ونساء". (توصيات المؤتمرات..، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٢٢ -٢٣).

ونجد أن أخطر ملامح التقدم في عصرنا الحاضر؛ يتمثل في القدرة العلمية والتقنية التي تخطت مجال الطبيعة إلى الإنسان؛ فأصحبت تؤثر في ذاته جسدا وعقلا ونفسا، وذلك من خلال الوسائل الحيوية والكيماوية والنفسية والاجتماعية. وهو امتداد طبيعي، بعد فترة طويلة من إهمال الإنسان لنفسه، حيث كرس وقته لاستكشاف الطبيعة واستغلالها، فكان تقدمه الرائع في المجال الطبيعي، مقارنة بتخلفه الهائل في استكشاف أسرار نفسه، وتنمية كفاءاته الخلقية، (زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٣٧)، وهذا مجال

كبير من مجالات التغيير الذي نريده لتعليم المرأة المسلمة المعاصرة؛ بحيث تبدع ما يساعدها على الإحسان في أداء الأمانة التي كلفت بها والتي يعبر عنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب] ، وذلك من خلال تنمية ذاتها بالعلم معرفة وخلقا؛ بحيث يكون أداة تمكنها من الإسهام في تلمس مواطن الخلل في المجتمع، وتمدها بالوسائل التي تؤهلها للإسهام في تشخيصها وعلاجها.

وليس من الضروري ولا من المفيد أن نقلد غيرنا؛ لأن الزمن قصير والواجب عسير، فالأمر يقتضي منا تجنب أخطاء غيرنا، فمثلا: من الخطأ على نسائنا اتباع الدول المتقدمة في أنماطها الاستهلاكية التي لم تصل إليها إلا بعد مراحل عديدة من الإنتاج والتصنيع، والأولى بنا توخي الاقتصاد والاعتدال والانضباط وغيرها من الصفات التي أصبح المهتمون ينادون بتربية إنسان الدول المتقدمة عليها. (زريق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٩١).

ولابد أن يتطور إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يتماشى مع العصر؛ بحيث يعمل على تحقيق الأهداف التالية:

١- توفير التعليم المناسب الذي يحقق إلى جانب أهداف التربية الإسلامية العامة **أمرين أساسيين:**

أ- **تمكينها** من أداء مسئوليتها الأولى بإحسان.

ب- **تمكينها** من إتقان مهنة مناسبة تمارسها عند الحاجة.

٢- توجيه المرأة إلى أهمية استغلال وقتها كاملا بحيث تكون عنصرا فعالا مفيدا لنفسها ولغيرها بعيدا عن البطالة، وشغل أوقات الفراغ فيما لا يفيد من تسليات.

يقول الرسول ﷺ: " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم. " (الترمذي، د.ت، ج٤، القيامة / ١، ص ٥٢٩)

ثالثا: آثار التعليم الحديث على سلوك المرأة المسلمة المعاصرة:

إن الناظر في واقع حال المرأة المسلمة المعاصرة ـ خريجة التعليم الحديث المقلد للغرب

ـ يجد أن التعليم الحديث قد ترك بصماته عليها فلم يخرجها الإخراج اللائق بأمة الرسالة المحمدية الشاهدة على الناس؛ وإنما جعل منها إنسانا متغربا مشوها، بعيدا عن الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون عليها. ومن أبرز آثار هذا التعليم على المرأة ما يلي:

١ - التبعية والتقليد:

إن تربية التبعية التي تلقتها المرأة المسلمة المعاصرة قد ركزت على إيجاد الإنسان المتخلف غير المنتمي لديها، وقضت على أية مبادرة استقلالية تربطها بشخصيتها الإسلامية؛ فالمناهج تحشو فكرها بالعلوم المادية التي تصور لها المدنية الحديثة بصورة المنقذ للبشرية، مما يزيد من إيمانها بالعلم، ويضعف إيمانها بالإسلام، وهي- المناهج- تدور في الإطار الأكاديمي الغربي منهجا ومرجعا ومصدرا وكتابا. (العلواني، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٨٠).

ومما يزيد الأمر سوءا ما أشرنا إليه من افتقاد غالبية المعلمات - والمعلمين- في هذه المؤسسات للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له، إلى جانب أن العلم الذي تدرسه مؤسساتنا - حتى الجامعية منها - لا يفتقد للرؤية الإسلامية فقط بل هو علم فاسد، انتهت مدة صلاحيته وتجاوزه الزمن.

لقد عجز التعليم الحديث عن أن ينمي لدى المرأة القدرة على إدراك الخصوصية التي تميز إسلامها، ولا الإحساس بخطأ الانكباب على الآخرين؛ ومن ثم وجدناها تندفع في تقليد المرأة الغربية ظاهرا وباطنا؛ في زيها وأفكارها، فراحت تطالب مثلها بالمساواة رغبة منها في إثبات جدارتها وقدرتها على أداء ما يؤديه الرجل من أعمال، وزادت فهجرت دينها، وقيمها وجاوزت الحد حيث راحت تهتدي بالصيحات الغربية؛ فتطالب بحقوق مصطنعة بدعوى أنها حرمت منها في ظل الإسلام[1].

وقد تنبه بعض المفكرين المسلمين منذ البداية إلى إمكانية وصول المرأة المسلمة إلى الحال الذي نراها عليه اليوم، ومنهم الطاهر الحداد الذي نبه إلى أهمية وضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة من التخلف الذي ترسف فيه، حيث إن ذلك هو السبيل إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي، وإلا انجرفت المرأة وراء تيار التطور الحديث على غير هدى، فجاء في مقولته ما نصه:

---

(١) انظر المبحث التاسع: حركة تحرير المرأة المسلمة.

" إن المرأة ذاهبة في تيار التطور الحديث بقوة لا تملك هي ولا نحن لها ردا. وهي تجري في ذلك على غير هدى أو كتاب منير، وذلك ما يزيد روح الفوضى رسوخا كل يوم. فلابد من التعاون بوضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة الذي هو نهوض للجميع، وبذلك نكون قد طهرنا الماء الصالح للحياة قبل أن يتحول إلى عفونة تهدمها وتبيدها." (الحداد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٩).

وهناك من المفكرين من توجه إلى المرأة في محاولة لترشيد سيرها، وفي مقدمتهم مصطفى صادق الرافعي الذي قال:

" إنه يجب على المرأة أن تحتفظ **بثلاث خصال**؛ الحياء الصادق، والعفة الصحيحة، والخضوع الجميل الذي هو مظهر الحب لمن يجب له الحب "؛ فيجب عليها ألا تشغل نفسها بالتبرج والإسراف في اللهو والاختلاط. وعليها أن تترك تقليد المرأة الغربية لأن ذلك يجعلها غير صالحة لبناء المجتمع بل لهدمه. (فرج، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٢٣).

٢- الازدواجية المتنافرة بين الاعتقاد والسلوك:

وتبدو آثار هذه الازدواجية واضحة في حياة المرأة المسلمة المعاصرة خاصة في مظهرها الخارجي؛ حيث نجد أن كثيرا من المسلمات أصبحن لا يتميزن في هيئتهن الخارجية عن غيرهن على اختلاف انتماءاتهن العقائدية، فنجد الواحدة منهن تخرج من بيتها وهي تمسك بآخر خطوط الموضة التي تبرز جمالها الموهوب لها من الله، فلا تشكر خالقها عليه باتباع أوامره التي تحضها على ستر جمالها عن الأعين الفضولية، وإنما يغريها الشيطان ببذله لكل عين، فنجدها غير مدركة لحقيقة كونها مسلمة، تؤمن بالله ورسوله وكتابه، رغم ولادتها عن والدين مسلمين وفي بيئة مسلمة. وفرق كبير بين أن يولد الإنسان عن والدين مسلمين في بيئة مسلمة، وبين التفكير في حقيقة الإيمان بالله، وما يترتب على ذلك من التزام يجعله واقعا حيا في سلوك الإنسان.

وأهم أسباب هذه الازدواجية في واقع حياة المرأة تتمثل في الازدواجية في القيم التي تتلقاها المرأة، حيث إنها تتلقى في المدرسة من القيم ما يخالف القدوة التي تقدمها وسائل

التربية الأخرى، مما يغرس في نفسها أن ما تتلقاه من قيم في المدرسة؛ لا محل لها في الواقع، ومن ثم تندفع في الاقتداء بنماذج القدوة التي تقدمها وسائل التربية الأخرى، لتعيش في جو موبوء، مليء بالغيبة والنميمة والكذب والنفاق والرياء والمباهاة، وغير ذلك من ألوان السلوك التي تهبط بها عن المستوى التكريمي اللائق بها.

وقد أسهم الغرب بدوره في ذلك من خلال تصديره لمفاهيمه وقيمه المتحللة إلينا عن قصد وسابق تصميم. ويشير إلى ذلك سرور المنصرين لما يرونه من فساد أخلاق أبناء المسلمين. وفي ذلك يقول أحدهم: "..... ويلوح لي أن هوليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية. " (مجذوب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ص ٧٧).

أما السبب في ذلك فيرجع إلى اعتقاد الغربيين بأن القيم الإسلامية قيم بالية، لم تعد تتماشى مع العصر. وذلك ما يوضحه هوفمان بقوله:

" ومن البديهي بعد ذلك أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة، والذي يفرض نفسه بديلا قادما من بيئة مخالفة؛ في مواجهة حقيقية تصدم الفلسفة العصرية الغربية، وجهلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء، حسب التعبير الأمريكي" لاشيء ممنوع". هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد، الذي يراه البعض عنيفا باليا لا لشيء سوى قيام صرحه واستمراره، غير مرتبط بعنصر الزمان، بمعنى صلاحيته لكل العصور. "(هوفمان، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٠٦).

فالغرب يعمل جاهدا منذ زمن على فرض قيمه التي أثبتت فشلها في بيئتها، حيث أصبح الإنسان الغربي المعاصر يعيش مأزقا حرجا؛ تبدو مؤشراته في انتشار الأمراض الاجتماعية والأخلاقية. وقد أدرك عدد من علماء الغرب أن المخرج من هذا المأزق يتمثل في نظام جديد من القيم، ويضعون لهذا النظام مواصفات نجدها تنطبق على نظام القيم في الإسلام . ومن ذلك مثلا قول ديفيد بوهم:

"... فنحن نحتاج إلى نظام قيم لا تتحكم به الرغبات والأهواء القاصرة، وينسجم مع قوانين الكون والحياة. وتحقيق ذلك يحتاج إلى مناهج معرفة قادرة على تقديم نظام

القيم المنشودة وتجسيد هذا النظام في مناهج تربوية شاملة صائبة. فالمعرفة والقيم عنصران متكاملان في عملية واحدة غير قابلة للتجزئة، وحينما يحاول أحد أن ينجز ما يعتبره معرفة متحررة من القيم فإن هذا يعني أنه يقبل القيم الجارية في المجتمع الذي يعيش فيه، أو يقبل القيم المتضمنة في خيالاته الذاتية دون تمحيص. " (بوهم عن الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٢٤)

والمجتمع الإسلامي يملك النظام القيمي الذي يكفل له التسامي والارتقاء في الدنيا والآخرة، لكنه تخلف لعدم تنزيله لقيم الإسلام على الواقع المعاش، بسبب الأثرة والأنانية التي غلفت حياة المسلمين.

وقد انسحب أثر ذلك على جميع المجالات؛ فأصبحت الازدواجية هي السمة الغالبة على سلوك المسلمين الذين لم تعد العقيدة توجه سلوكهم في واقع الحياة؛ إلا من رحم الله.

٣- فقدان التوازن في نمو القدرات والاستعدادات:

وذلك بسبب تماثل مناهج البنين مع البنات تماثلا يلغي أية فروق بينهما في كثير من البيئات الإسلامية؛ فكان من نتائج ذلك أن وجدنا من بين المتعلمات من قصر التعليم عن تحقيق النمو السليم لشخصياتهن، فبقيت " الجوانب الأنثوية لديهن في حالة قوة، ولم تتحول إلى حالة الفعل؛ لأنه لم تتهيأ لها أسباب النمو الكافية، وأحيانا قد يحدث لها نمو غير مرغوب فيه." (يوسف أسعد، د.ت، ص١٣٥ -١٣٦)

ومن أسباب فقدان التوازن أيضا؛ التركيز على جزء من الناحية العقلية لدى المرأة والمتعلق بالذاكرة؛ وكأنها الوسيلة الوحيدة لبناء العقل- وتبدو آثار ذلك واضحة في تخصيص المعلمات -والمعلمين- كل بموضوع محدد؛ بحيث تصبح المعلمة غير قادرة على تكييف المواد وفقا لحاجة التلميذات ومشكلاتهن.

٤- السطحية في التفكير:

أدى اهتمام التعليم الحالي بالدرجات والحصول على الشهادة، وإهماله لكثير من القدرات؛ إلى عدم اهتمام المتعلمات بالحصول على معرفة حقيقة؛ لأن مجرد استظهار

المعلومات ثم تسطيرها في أوراق الامتحان يكفي للنجاح؛ ثم تنسى تلك المعلومات.

فكان من نتائج ذلك أن تغلبت على شخصية المرأة المسلمة المعاصرة؛ السطحية في التفكير، والتي انتقلت من مجال الدراسة إلى واقع حياتها؛ فشملت أهدافها وفهمها للحياة وسلوكها وعبادتها أيضا، وهذا من الأسباب التي جعلتها تتصف بالازدواجية التي أشرنا إليها سابقا.

والسطحية في التفكير تؤثر على العبادات فينتفي أثرها الحقيقي على السلوك، وتؤثر على القيم فتفقدها حقيقتها، وتؤثر على الشخصية أيضا؛ فتجعلها سريعة التقبل للأفكار الأخرى دون تمحيص ما إذا كانت صائبة أو مغلوطة أو منحرفة؛ ولذلك وجدنا المرأة تنخدع بسهولة بفعل الإعلانات والدعايات الكاذبة.

* * *